(١)

البناء الاقتصادي السديد
وأثره في استقرار المجتمع

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ ، القائلِ في كتابهِ الكريم : {هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إِلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ .

وبعدُ :

فإن الاقتصاد القوي من أهم دعائم الدولة وركائزها الأساسية التي لا تقوم ولا تُبنى إلا بها ، فالاقتصاد القوي المستقر يمكن الدول من الوفاء بالتزاماتها المحلية والدولية وتوفير حياة كريمة لمواطنيها ، وحين يضعف الاقتصاد ينتشر الفقر والمرض ، وتضطرب الحياة ، وتنشب الأزمات ، وتفسد الأخلاق ، وتكثر الجرائم وتكون الفرصة واسعة أمام الأعداء المتربصين بالدول ، العاملين على إسقاطها وإدخالها في فوضى لا تنتهي ؛ لذا كان النَّبيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَتعوذ من الفقر فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ قائلًا: (اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفَقْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ).

إن الأمم التي لا تملك ولا تنتج قوتها ، وغذاءها ، وكساءها ، ودواءها ، وسلاحها ، لا تملك أمرها ، ولا إرادتها ، ولا كلمتها ، ولا عزتها ، ولا كرامتها ، وقد قالوا : أحسن إلى من شئت تكن أميره ، واستغن عن من شئت تكن نظيره ، واحتج إلى من شئت تكن أسيره .

وقد علَّمنا ديننا الحنيف أن اليد العليا خير من اليد السفلى ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (اليدُ العُليا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلى) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (اليَدُ المُعطِيةُ هي العُلَيا، والسَّائِلةُ هي السُّفلَى) ولا شك أن ذلك ينطبق على

الأمم والمؤسسات والأسر والأفراد معًا ، فلا تنهض أي أمة أو مؤسسة أو أسرة إلا بعوامل محددة منها :

العمل وزيادة الإنتاج : وليس المطلوب مجرد زيادته بل الزيادة مع الإتقان والإبداع والابتكار واقتحام المجالات الأكثر حيوية والأكثر عائدًا ومردودًا اقتصاديًّا ، فالعمل والانتاج مطلب شرعي وواجب وطني ، فقد أمر الله (عزّ وجلّ) بالسعي في الأرض عقب أداء حق الله تعالى ، حيث يقول سبحانه : {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} ، فبالعمل تعمر الأرض وتتحقق خلافة الإنسان فيها ، وبالعمل يحفظ المرء مروءته وكرامته ، فصاحبه يُعطي ولا يَطلب، وينفق ولا يَسأل ، وقد عد النبي (صلى الله عليه وسلم) أفضل ما أكل العبد ما كان من سعيه وكده ، حيث قَالَ (صلى الله عليه وسلم): (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِه ، وَإِنَّ نَبيَّ الله دَاوُدَ (صلى الله عليه وسلم) كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ) . وقد توعد (صلى الله عليه وسلم) من آثر الكسل والراحة، واقتات من سؤال الناس بشر وعيد حيث قَالَ: (لاَ تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى الله تَعَالَى وَلَيْسَ في وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ). – المُزْعَةُ : القِطْعَةُ – ، وكان سيدنا عمر (رضي الله عنه) يقول : إياكم والراحة فإنها غفلة .

لقد أعلى الإسلام من قيمة العمل ، وجعله من أعلى مراتب العبادة ، وهو الجهاد في سبيل الله (تعالى)، فالعبد يؤجر عليه، ولو مات في سعيه لكان موته في طاعة، فعَنْ كَعْبِ بن عُجْرَةَ (رضي الله عنه)، قَالَ: مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) رَجُلٌ، فَرَأَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنْ جِلْدِهِ وَنَشَاطِهِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):(إِنْ كَانَ

خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ) ، وفي الدعوة إلى الإنتاج يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا) .

وكان (صلى الله عليه وسلم) يضع الحلول لإيجاد فرص العمل والاستفادة من الطاقات ، فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) ، أن رجلًا من الأنصار أتى النبي (صلى الله عليه وسلم) يسأله ، فقال : (أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ؟) ، قال : بلى ، حلسٌ (أي كساء) نلبس بعضه ونبسط بعضه ، وإناء نشرب فيه من الماء ، قال : (ائْتِنِي بِهِمَا) ، قال : فأتاه بهما ، فأخذهما رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بيده ، وقال : (مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ؟)، قال رجل : أنا ، آخذهما بدرهم ، قال : (مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ) مرتين ، أو ثلاثًا ، قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما إياه ، وأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصاري، وقال : (اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ ، وَاشْتَرِ بِالْآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِي بِهِ) ، فأتاه به ، فشدّ فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عودًا بيده ، ثم قال له : (اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ ، وَلَا أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا) ، فذهب الرجل يحتطب ويبيع ، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم ، فاشترى ببعضها ثوبًا ، وببعضها طعامًا ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِثَلَاثَةٍ : لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ ، أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ ، أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ) .

ترشيد الاستهلاك : فالترشيد من مقومات إعمار الأرض ، وتحقيق نهضة الأمم ، وقد دعت الشريعة الإسلامية أتباعها إلى الترشيد وعدم الإسراف في استخدام نعم

الله (عز وجل) في شتى مناحي الحياة ، حيث يقول الحق سبحانه : {وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا} ، ويقول سبحانه : {وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} ، وفي الدعوة إلى ترشيد الاستهلاك يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ) ، على أننا نؤكد أن ترشيد الاستهلاك ، ليس في مجال الطعام والشراب فحسب ، بل في كل جوانب العملية الاقتصادية : في المياه ، والكهرباء ، والغاز ، وفي كل الخامات والأدوية المستخدمة حياتيًّا ، وهذا ما تدعو إليه الأديان ، وهو ما نجده في قول الحق سبحانه على لسان سيدنا يوسف (عليه السلام) : {قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ} ، فهي دعوة إلى زيادة الإنتاج من خلال العمل الجاد الدءوب وإلى ترشيد الاستهلاك إلى أقصى درجة ممكنة ، حيث قال الحق سبحانه : {إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ} ولم يقل إلا ما تأكلون.

أقولُ قولِي هذا ، وأستغفرُ اللهَ لِي ولكُمْ .

❀ ❀ ❀

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، وَمن تَبعَهُمْ بإحسانٍ إِلىَ يومِ الدِّين .

إخوةَ الإسلامِ :

إن من أهم عوامل وأسس البناء الاقتصادي السديد **وفاء جميع الأفراد بالتزاماتهم تجاه وطنهم** ، والتخلص من الروح الاتكالية من محاولة الحصول على الخدمات دون أداء ما يقابلها ، أو محاولة الحصول عليها دون قيمتها الحقيقية ، فمن

يستهلك ولا ينتج ، ويتقاضى راتبًا ولا يعمل ، ويحصل على الخدمات ولا يُؤدي مقابلها إنما يسهم في تردي أوضاع بلده أو إسقاطها اقتصاديًّا ، فمجمل اقتصاد البلاد هو مجمل تصرفات أفرادها ، ولو ضربنا أنموذجًا بالكهرباء مثلا ، فقد مرت بنا فترات صعبة من انقطاع الكهرباء وتدهور الخدمة مما كان له أثر شديد السلبية على مفاصل الدولة الاقتصادية من جهة ونفوس المواطنين من جهة أخرى ، غير أن وزارة الكهرباء لم تكن أبدًا قادرة على توفير الخدمة فضلًا عن تحسينها في ظل عدم وفاء المواطنين بسداد مقابلها ، وبما يمكن الوزارة وشركاتها من تطوير بنيتها التحتية ، ناهيك عن مصروفات ومتطلبات التشغيل وتجديد المحطات ، وإضافة محطات جديدة وتوفير الوقود اللازم لتشغيلها ، أما في حالة سداد القيمة العادلة للخدمة فإن الوزارة بلا شك ستتمكن من استمرار الخدمة بل وتطويرها ، وهكذا الأمر في السكة الحديد ، ومترو الأنفاق ، وسائر الخدمات .

أما تهرب البعض من سداد مستحقات الخدمات أو حرصه الشديد على النفع الخاص ولو على حساب النفع العام فأمر يتنافى مع كل القيم الدينية والمبادئ والنظم الاقتصادية العادلة ، ويؤدي إلى تدهور الأحوال الاقتصادية للدول وربما سقوطها اقتصاديا بمعنى يؤدي إلى السقوط العام لها .

ومن ثمَّ فإنه يجب شرعًا سداد جميع ما علينا من التزمات في موعدها ، لأن ذلك هو مقتضى العقد القائم بين المزودين لهذه الخدمات كشركة الكهرباء والجهة المزودة بالماء وبين المشترك في هذه الخدمات ، ولا يجوز التهرب من السداد ، فقد أمر الله عز وجل بالوفاء بالعقود في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ}

فهذه الآية الكريمة عامة تشمل كل العقود والعهود والالتزامات التي يلتزم بها الشخص مع غيره.

وفي الحديث الشريف يقول نبينا (صلى اللَّه عليه وسلم) : (الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ إِلاَّ شَرْطًا حَرَّمَ حَلاَلاً أَوْ شَرْطًا أَحَلَّ حَرَامًا) ، و في رواية (الْمُسْلِمُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ) ، فهؤلاء الذين يتهربون من دفع شيء تعاقدوا عليه، ويأخذون أشياء لهم، ويمتنعون من أداء التزاماتهم أساءوا من وجهين: الأول ، عدم الوفاء بالعقود ، والثاني ، أنهم يأخذون حقوقًا ليست لهم ويتهربون من دفع حقوق عليهم .

وعليه فإن الامتناع عن سداد مقابل الخدمات أو محاولة التهرب منها محرم شرعاً ؛ لأن ذلك يعتبر إخلالًا بالشرط والعقد ، وتضييعًا للحقوق وإضعافًا للمؤسسات والدول.

ومع أننا نؤكد على أهمية تكثيف برامج الحماية الاجتماعية فإننا نؤكد أيضًا على أهمية أن تذهب إلى مستحقيها الحقيقيين من الفئات الأولى بالرعاية ، وأن يتحلى الجميع بالقيم الدينية والأخلاقية والإنسانية بتعفف من لا يستحق حتى تذهب مخصصات برامج الحماية لمن يستحق.

اللهم أعنا على القيام بواجبنا تجاه وطننا
واحفظ مصرنا وسائر بلاد العالمين